الفخر والهجاء في العصر الجاهلي وأثرهما في تشكيل الهوية القبلية

شيماء جاسم خضير

masshaima11178@gmail.com

الجامعة المستنصرية / كلية التربية– قسم اللغة العربية

الملخص

تناول هذا البحث ظاهرة الفخر والهجاء في العصر الجاهلي وأثرها في تشكيل الهوية القبلية، بالتركيز على الدور الاجتماعي والثقافي والسياسي للشعر الجاهلي في بناء الانتماء وتعزيز التضامن بين أفراد القبيلة ، وهدف البحث إلى دراسة مفهوم الفخر والهجاء، القيم المرتبطة بالهوية القبلية، الوظائف الاجتماعية والسياسية للفخر والهجاء، وأثرهما في ترسيخ الهوية الجماعية.

أظهر البحث أن الفخر والهجاء كانا أدوات متكاملة لتعزيز الهوية القبلية ، الفخر يركز على إبراز الشجاعة والكرم والأنساب النبيلة، بينما الهجاء يحدد الهوية المضادة ويضع حدود الخصم القبلي. كما ساهم الهجاء في حماية الكيان القبلي، وتعزيز الولاء الداخلي، وصون الهيبة الرمزية للقبيلة. وقد بين البحث أن الشعر الجاهلي لم يكن مجرد وسيلة للتسلية أو التعبير الفردي، بل ذاكرة جماعية تحفظ القيم والتاريخ الاجتماعي للقبائل.

وتوصل الباحث إلى مجموعة استنتاجات، أبرزها الفخر والهجاء أدوات لتعزيز الهوية والانتماء، القيم الاجتماعية مثل الشرف والأنساب والبطولة أساسية في بناء الهوية، والشعر وسيلة لترسيخ هذه القيم عبر الأجيال ، ويقدم البحث مقترحات لدراسة تأثير هذه الظواهر في الأدب العربي لاحقًا وربطها بالهوية الثقافية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: (الفخر، الهجاء، العصر الجاهلي، الهوية القبلية، التضامن الاجتماعي).

Pride and Satire in the Pre-Islamic Era and Their Impact on Shaping Tribal Identity

Shaimaa Jassim Khudair

Al-Mustansiriya University/College of Education - Department of Arabic Language

Abstract

This study explores the phenomenon of Pride and Satire (Al-Fakhr and Al-Hija') in the Pre-Islamic era and their impact on shaping tribal identity, focusing on the social, cultural, and political roles of poetry in fostering belonging and solidarity among tribe members. The research aims to examine the concepts of pride and satire, the values associated with tribal identity, the social and political functions of these poetic forms, and their role in consolidating collective identity.

The study shows that pride and satire functioned as complementary tools to strengthen tribal identity: pride highlighted courage, generosity, and noble lineage, while satire defined an opposing identity and established boundaries with rival tribes. Satire also played a key role in protecting the tribal entity, reinforcing internal loyalty, and preserving the tribe's symbolic prestige. The research demonstrates that pre-Islamic poetry was not merely a form of entertainment or personal expression but a collective memory preserving values and the social history of tribes.

The study concludes that pride and satire are essential tools for reinforcing identity and belonging, social values such as honor, lineage, and heroism are fundamental in shaping tribal identity, and poetry serves as a medium to transmit these values across generations. The research suggests further studies on the influence of these phenomena in later Arabic literature and their connection to contemporary cultural identity.

Keywords: (Pride, Satire, Pre-Islamic Era, Tribal Identity, Social Solidarity).

DOI:

المقدمة

بل سلطة رمزية تمارس تأثيرها في الوعي الجمعي، وتؤسس لمنظومة الهوية والانتماء، وبرز خطابا الفخر والهجاء بوصفهما أداتين متكاملتين في تثبيت صورة الذات وتمييزها عن الآخر، إذ مثل الفخر تجسيداً لمرتكزات الكبرياء القبلي والقوة والشرف والأنساب، بينما كان الهجاء وجهاً دفاعياً مضاداً يحمي السمعة الجمعية ويقصي الخصم رمزياً من دائرة الفضل والمكانة.

لقد شكل هذان الخطابان معاً إحدى أهم آليات إنتاج الهوية القبلية في المجتمع الجاهلي، لما ينطويان عليه من استحضار للمجد وتوثيق للسؤدد، في مقابل رسم حدود الانتماء وإقصاء الآخر منافساً أو خصماً ، ومن خلال حضور الشاعر بوصفه المتحدث الرسمي عن القبيلة، تحوّلت الكلمة إلى حاضنة للذاكرة الجماعية، وإلى وسيلة لترسيخ الوعي الاجتماعي وتوجيه السلوك الجمعي داخل منظومة قيم صارمة تمنح الفضل لأهله وتمنع الاختلاط الهويّاتي بين القبائل.

وإن البحث في ظاهرة الفخر والهجاء ليس وقوفاً عند الأسلوب أو الصورة البلاغية فحسب، بل هو مدخل إلى فهم بنية المجتمع الجاهلي وآليات تشكل الهوية داخله، وكيف استطاع الخطاب الشعري أن يصنع لنفسه قوة تماثل السلاح، وأن يحدد صورة القبيلة في الوعي الجمعي داخل البيئة العربية قبل الإسلام. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن الدور التاريخي والثقافي لهذه الظاهرة، وبيان أثرها العميق في بناء الهوية القبلية وإدامة شرعيتها.

إشكالية البحث

تنبثق إشكالية هذا البحث من السؤال المركزي المتعلق بكيفية تحول الشعر من مجرد فن تعبيري إلى أداة فاعلة في بناء الهوية القبلية في العصر الجاهلي، ولا سيما عبر خطابي الفخر والهجاء اللذين مثّلا قطبين متكاملين في تشكيل صورة الذات وصناعة صورة الآخر. فالفخر لم يكن مجرد إطراء للقبيلة أو تمجيد لأبطالها، بل آلية ترسيخ للشرعية الرمزية وتعزيز للانتماء، في حين جاء الهجاء ليحدد الحدود الهوياتية بين القبائل، ويقصي الخصم من دائرة الشرف والمكانة. ومن هنا تتحدد الإشكالية في : **كيف استطاع خطاب الفخر والهجاء أن يتحول إلى قوة اجتماعية ومعيار ثقافي يسهمان في بلورة هوية القبيلة وإدامة حضورها في المخيال الجمعي؟**

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في أنه لا يدرس الفخر والهجاء بوصفهما ظاهرتين بلاغيتين أو أسلوبيتين فحسب، بل يتجه إلى قراءتهما ضمن سياقهما الثقافي والاجتماعي باعتبارهما خطابين منتجين للهوية. فالوقوف عند هذه الظاهرة يكشف عن البيئات النفسية والقيمية التي حكمت بنية المجتمع الجاهلي، كما يظهر الدور الذي أدّاه الشاعر بوصفه المتحدث الرسمي عن قبيلته، والوسيط الذي يحفظ الذاكرة الجمعية ويرسم ملامح الشرف والمكانة. ومن ثم تبرز أهمية البحث الحالي في إبراز العلاقة بين النص الشعري والهوية، وكيف أسهمت الكلمة في تثبيت السردية القبلية قبل ظهور الدولة والمؤسسات الرسمية الحافظة للهوية.

أهداف البحث

١- الكشف عن البنية الدلالية والاجتماعية لخطابي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي.
٢- تحليل دور الشعر في ترسيخ قيم الشرف والانتماء داخل القبيلة.
٣- بيان العلاقة بين الهوية القبلية والسلطة الرمزية للشاعر.
٤- تفسير كيفية إسهام الفخر والهجاء في إنتاج حدود "الذات" و"الآخر" داخل المجتمع الجاهلي.

DOI:

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص الشعرية، للكشف عن السمات اللغوية والدلالية التي حملها خطاب الجاهليين في الفخر والهجاء، إلى جانب المنهج الاجتماعي الثقافي الذي يفسر العوامل الحضارية والقبلية التي منحت هذا الخطاب دوره في تشكيل الهوية القبلية.

تعريف المصطلحات

الفخر في العصر الجاهلي : الفخر هو أحد أغراض الشعر الأساسية في العصر الجاهلي، ويقصد به التعبير عن الاعتزاز بالنفس وبالقبيلة، وإظهار الشجاعة، والكرم، والأنساب النبيلة، والمآثر البطولية للأفراد أو الجماعة.قد كان الفخر أداة لتعزيز الهوية القبلية، إذ يظهر التفوق الرمزي للقبيلة ويرسخ مكانتها داخل المجتمع. من خلال الفخر، يتم نقل القيم المشتركة والإنجازات التاريخية للقبيلة، ما يجعل كل فرد يشعر بالانتماء والفخر المشترك. (غافل و عبد حسين، ٢٠٢٤، صفحة ٧٧)

الهجاء في العصر الجاهلي : الهجاء هو الغرض الشعري المقابل للفخر، ويقصد به انتقاد الآخر، أو التجريح في العيوب، أو تقليل شأن القبائل المنافسة. لم يكن الهجاء مجرد كلمات جارحة، بل كان أداة اجتماعية وسياسية تحدد الحدود بين القبائل، وتبرز الهوية المضادة، وتُعزز الانتماء الداخلي للقبيلة ،وأنه يعكس الصراعات الرمزية والاجتماعية بين القبائل، ويؤكد على أهمية القيم المشتركة والمكانة الرمزية للقبيلة الناقدة (الخويطر، ٢٠١٠، صفحة ١٣٠)

الهوية القبلية : الهوية القبلية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة محددة، تحمل تاريخاً ، وأنساباً ، وقيماً مشتركة، وكانت الهوية القبلية تبنى على ثلاثة مرتكزات رئيسية :- (محمد، ٢٠٢٤، الصفحات ٨٠٣-٨٠٤)

١- الأنساب : معرفة النسب والعشيرة والاعتداد بالأجداد.

٢- القيم الاجتماعية : مثل الشجاعة، الكرم، الوفاء، والشرف.

٣- الرموز الثقافية : الشعر، الفخر، والهجاء كوسائل لنقل الذاكرة الجمعية.

الفخر والهجاء كانا الأدوات الأساسية في ترسيخ الهوية القبلية، فالفخر يعزز الهوية الداخلية للقبيلة، بينما الهجاء يبرز الهوية المضادة ويحدد الحدود مع القبائل الأخرى

المبحث الأول : الإطار النظري والهوية القبلية

المطلب الأول: مفهوم الفخر والهجاء في التراث العربي الجاهلي

يشكل الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي قطبين متقابلين يمثلان نظام القيم في المجتمع العربي قبل الإسلام، فالفخر هو تمجيد للقبيلة وأمجادها وأنسابها ومواطن قوتها، بينما الهجاء هو نزع الشرعية عن الخصم عبر التقليل من شجاعته أو نسبه أو مكانته. وهذان المجالان ليسا شكليين ، بل هما جزء من البنية الاجتماعية التي تحمي رأس مال القبيلة الرمزي في محيطها القبلي. (ضيف، ١٩٩٥، صفحة ٢١٢)

الطبيعة الثقافية للشعر الجاهلي

لم يكن الشعر مجرد قول جمالي، بل كان لسان القبيلة، ووسيلتها في إعلان الذات أمام الآخرين، فكان الشاعر بمنزلة المتحدث الرسمي الذي يحفظ تاريخ قبيلته، ويدافع عنها، ويصوغ صورتها أمام المجتمع. ولهذا ارتبط الفخر والهجاء بنظام الحميّة والسمعة والانتصار الرمزي، فهي أدوات لحماية الهوية ومنع اختراقها (الجاحظ، ١٩٩٨، صفحة ٥٥/١)

الفخر بالجرأة (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ١٠)

يقول زهير بن ابي سلمى :

ومن لا يزُدْ عن حوضه بسلاحه

يُهَدمْ ومن لا يظلمْ الناس يُظلم

DOI:

الفخر بوصفه تثبيتًا للهوية

كان الفخر أوسع أبواب الشعر الجاهلي، لأنه يصنع صورة الذات في وعي الجماعة. ويستند إلى ثلاثة أعمدة النسب، والبأس، والكرم، ومنها تتفرع الفضائل القبلية الأخرى. فالشاعر لا يفخر بنفسه فقط، بل يقرر شرعية الانتماء ويعلنها على الملأ، لتتكرس في الذاكرة الجمعية وتتحوّل إلى هوية مكتوبة باللفظ (الأسد، ١٩٨٨، صفحة ١٣٢)

الهجاء وآلية إقصاء الآخر

إذا كان الفخر يبني الذات، فإن الهجاء يبني حدود الذات، أي يحدد من ليس منا، ويقصي العدو من مجال الشرف. والهجاء الجاهلي لم يكن سبابًا، بل وظيفة اجتماعية تمارس عبر اللغة لتقويض مكانة الخصم ومنعه من منافسة القبيلة رمزيًا. ولذلك اعتبر العرب أن الهجاء قد يساوي أثر السيف في المعركة أو يسبقها (ابن جعفر، ١٩٨٥، صفحة ٩٤)

الافتخار بالسيف والقوس

أوس بن حجر يقول: (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ٨)

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما
رأيتُ لها ناباص من الشر أعصلا
وأبيض هندياً كأن غراره
تلألؤ برق في حيَ تهللا
وإن شدَ فيها النزعَ أبرَ سهمها
إلى منتهى من عجسها ثم أقبلا
فذاك عتادي في الحروب إذا التقت
وأردف بأس من حروبٍ وأعجلا

امتداد الظاهرة في المدونة الشعرية

تؤكد دواوين الشعراء الكبار مثل المعلقات وحماسة أبي تمام ودواوين الهجّائين أن الفخر والهجاء كانا أقوى مساحة للتعبير عن التمايز والهويّة، وأن القبيلة لا تعرف فقط بالأنساب والسيوف، بل كذلك بالكلمات التي تحفظ اسمها في التداول الشفهي عبر الزمن. وبذلك أصبح الشعر وثيقة هوية قبل أن يكون وثيقة فن (أبو تمام، ١٩٩٤، صفحة ١٧/١)

يتضح لنا أن الفخر والهجاء لم يكونا ظاهرتين فنيتين معزولتين، بل شكلا جوهر البنية الثقافية التي قامت عليها الهوية القبلية في المجتمع الجاهلي، فلا هوية بلا فخر يرسّخها، ولا حدود لها بلا هجاء يحميها

المطلب الثاني: الشعر بوصفه حارساً للذاكرة والسمعة القبلية

في العصر الجاهلي، لم يكن التاريخ مكتوبًا، بل كان موروث شفهي تنتقل أحداثه وأحوال القبائل عبر الأجيال بالكلمة المسموعة. الشعراء لم يكونوا مجرد مبدعين بل حراس للذاكرة القبلية؛ فهم يكتبون باللسان ويغنون باللفظ، ليحتفظوا بالمآثر، والمعارك، والأنساب، وقصص البطولة، وكل ما يعكس مكانة القبيلة في سياق الصراع العربي القبلي. وأن القصيدة الجاهلية كانت بمثابة سجل دائم لكل حدث يهم القبيلة، والفخر والهجاء ليسا سوى وسيلتين لتعميق حضور هذه الذاكرة، حيث الفخر يخلّد مجد القبيلة وكرمها وشجاعتها، بينما الهجاء يخلّد معاركها الرمزية ضد خصومها ويديم صورة التنافس(ضيف، ١٩٩٥، الصفحات ٢١٥-٢١٨)

البنية السمعية للقصيدة ودورها في حفظ المعلومات

تتميز القصيدة الجاهلية بالبنية الإيقاعية والقافية الموحدة، مما يجعلها أكثر قابلية للحفظ والنقل الشفهي. فالنسق الموسيقي والنغمة المنتظمة يسهلان على أفراد القبيلة تذكر الأبيات ونقلها بدقة عبر الأجيال ، وهذا التنظيم الفني لم يكن هدفه الجمال فقط، بل كان آلية

DOI:

حقيقية لضمان بقاء المعلومات حول أنساب القبائل ومعاركها وفضائلها حية في الذاكرة الجماعية (الجاحظ، ١٩٩٨، الصفحات ٧٢-٧٤) .ونلاحظ أن الشعراء كانوا يكررون الأحداث بنفس الصياغة أحيانًا لتثبيت الوقائع في أذهان المستمعين، وهو ما أكده الجاحظ في تحليله للبلاغة العربية وأهمية الإيقاع في حفظ المعلومة.

دور الشاعر كمتحدث رسمي عن القبيلة

الشاعر الجاهلي كان ليس مجرد شاعر، بل متحدث رسمي عن قبيلته. وظيفته لم تقتصر على الترفيه، بل شملت: (الأسد، ١٩٨٨، الصفحات ١٤٥-١٥٠)

١- تخليد المجد القبلي: تسجيل البطولات والمآثر.

٢- تعزيز الهوية والانتماء: من خلال الخطاب الشعوري واللفظي الذي يذكر المستمعين بقيم الشرف والكرم والشجاعة.

٣- حماية السمعة: عبر الفخر والهجاء، كان الشاعر يحافظ على المكانة الرمزية للقبيلة، ويهاجم خصومها إذا تهددت السمعة أو المصالح.

وهكذا أصبح الشاعر في المجتمع الجاهلي حارساً للذاكرة الجماعية والحدود الاجتماعية، إذ يربط الماضي بالحاضر ويصنع سردية متصلة للقيم والهوية القبلية.

العلاقة بين الفخر والهجاء والذاكرة القبلية

الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي يمثلان الاساس في تثبيت الذاكرة السمعية للقبيلة: (الأسد، ١٩٨٨، الصفحات ٧١-٧٩)

- الفخر: يخلد أسماء الأبطال، المآثر الحربية، والأنساب، ويزرع الاعتزاز في النفوس.
- الهجاء: يوثق النزاعات، ويسجل مكانة الخصوم وعلاقات التنافس، ما يجعلها أحداثًا تاريخية مضمنة في الذاكرة الجماعية.

إذن، الشعر لا يحفظ الوقائع فحسب، بل يصوغها بطريقة تجعلها قابلة للنقل والتداول، ويحولها إلى منظومة معرفية متكاملة عن القبيلة وهويتها في البيئة الجاهلية.

أثر الشعراء الكبار في ترسيخ الذاكرة القبلية

الشعراء مثل امرؤ القيس، وعمرو بن كلثوم، وزهير بن أبي سلمى، قدموا أمثلة حية على وظيفة الشعر كحافظ للذاكرة، فقصائدهم لا تحتوي على بلاغة وجماليات فحسب ، بل تمثل توثيقاً للهوية القبلية ، البطولات، النزاعات، الانتصارات، والهزائم، وكلها محفوظة في ذهن المتلقين أو في سجلات الشعر الشفوي (عبد العاطي، ٢٠١٥)، وهكذا يظهر أن الشعر الجاهلي أداة اجتماعية حقيقية، لا مجرد فن، وأن فهمه يساعد الباحث على تفسير كيفية تشكل الهوية القبلية عبر الزمن. (عباس، ١٩٨٧، صفحة ٩٥) يتضح لنا أن الشعر في العصر الجاهلي كان أكثر من وسيلة للتعبير الفني؛ فقد كان الذاكرة الحية للقبيلة، يحفظ الوقائع والمآثر والأنساب، ويعيد إنتاجها عبر الأجيال شفهيًا، بحيث أصبح الفخر والهجاء أدوات مركزية في ترسيخ الهوية القبلية وحماية سمعتها وسرديتها

المطلب الثالث: الهوية القبلية – مكوناتها وآليات تشكلها في المجتمع الجاهلي

في العصر الجاهلي، كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية والسياسية الأساسية، التي تحدد مكانة الفرد وتوجهاته. كانت الهوية القبلية تتشكل من مجموعة من المكونات الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي تميز كل قبيلة عن غيرها. وقد لعب الشعر الجاهلي دور في تجسيد هذه الهوية وتعزيزها، من خلال ممارسات الفخر والهجاء، التي كانت وسيلة للتعبير عن الانتماء والولاء للقبيلة، وكذلك وسيلة للتنافس والتفوق على القبائل الأخرى (سالم، ٢٠١٣، صفحة ٥١٧)

مكونات الهوية القبلية في العصر الجاهلي (محجوب، ٢٠٢٢، صفحة ٢٦)

DOI:

١- **النسب والأنساب** : كان النسب من أهم مكونات الهوية القبلية، حيث كان ينظر إلى الفرد من خلال نسبه وقرابته من القبيلة. وقد أولى العرب الجاهليون اهتمام كبير بتوثيق أنسابهم، وكان الشعراء يذكرون أنسابهم في قصائدهم، مما يعكس أهمية النسب في تشكيل الهوية القبلية.

٢- **القيم والمبادئ** : تأسست الهوية القبلية على مجموعة من القيم والمبادئ، مثل الكرم والشجاعة والوفاء. وكانت هذه القيم تعزز من خلال الممارسات اليومية والتقاليد، وتجسد في الشعر الجاهلي، الذي كان وسيلة لنقل هذه القيم وتعزيزها بين أفراد القبيلة.

٣- **المكانة الاجتماعية والسياسية** : تحدد مكانة الفرد في القبيلة بناءً على دوره الاجتماعي والسياسي، مثل القيادة أو الشجاعة في المعارك. وكانت هذه المكانة تعزز من خلال الفخر في الشعر، الذي كان وسيلة للاعتراف بإنجازات الأفراد وتعزيز مكانتهم داخل القبيلة.

آليات تشكيل الهوية القبلية في المجتمع الجاهلي (المجيلي و الشمري، ٢٠٢٣، صفحة ٧٤)

١- **الشعر كوسيلة للتعبير** : كان الشعر الجاهلي وسيلة أساسية للتعبير عن الهوية القبلية، حيث كان الشعراء يمدحون قبائلهم ويهجون القبائل الأخرى، مما يعزز من شعور الانتماء والولاء للقبيلة. وكانت القصائد تنشد في المجالس وتنقل شفهياً، مما يسهم في تعزيز الهوية القبلية عبر الأجيال.

٢- **الفخر والهجاء** : كان الفخر والهجاء من أبرز وسائل تشكيل الهوية القبلية، حيث كان الفخر يستخدم لتسليط الضوء على مآثر القبيلة وإنجازاتها، بينما كان الهجاء يستخدم لتقليص مكانة القبائل المنافسة. وكانت هذه الممارسات تسهم في تعزيز الهوية القبلية من خلال التأكيد على تفوق القبيلة وسمعتها.

٣- **المجالس والمناسبات الاجتماعية** : كانت المجالس والمناسبات الاجتماعية، مثل الأعراس والمناسبات الدينية، تعد فرصاً لتعزيز الهوية القبلية، حيث كان يتم فيها تبادل الشعر والقصص التي تجسد مآثر القبيلة وتاريخها. وكانت هذه المناسبات تسهم في تقوية الروابط بين أفراد القبيلة وتعزيز شعور الانتماء.

تظهر هذه المكونات والآليات أن الهوية القبلية في العصر الجاهلي كانت تبنى على أسس ثقافية واجتماعية وسياسية متكاملة، وكان الشعر الجاهلي يؤثر في تجسيد هذه الهوية وتعزيزها. من خلال الفخر والهجاء، كان الشعراء يسهمون في تشكيل الوعي الجمعي للقبيلة، مما يعزز مكانتها وتفوقها في المجتمع الجاهلي.

المبحث الثاني

خطاب الفخر وأثره في ترسيخ الهوية

في المجتمع العربي الجاهلي، كانت القبيلة هي الوحدة الأولى التي تحدد حياة الإنسان وهويته. لم يكن الانتماء إليها مجرد حالة اجتماعية، بل كان يشكل جوهر الوعي الجمعي، الذي يربط الفرد بتاريخ أجداده، وقيم مجتمعه، ومكانته بين القبائل الأخرى. وفي هذا الإطار، برز خطاب الفخر كأداة قوية لترسيخ الهوية القبلية، ليس فقط من خلال كلمات الشعر وجمالياته، بل عبر ما يحمله من معان رمزية وثقافية واجتماعية. كان الفخر في الشعر الجاهلي يعكس اعتزاز القبيلة بمآثرها وبطولاتها، ويعيد سرد الحروب والانتصارات والأحداث الكبرى بطريقة تجعلها خالدة في ذاكرة المجتمع. وفي الوقت نفسه، كان وسيلة لإبراز التمايز والخصوصية بين القبائل، من خلال مقارنة مآثرها ومحاسنها مع الآخرين، وأحياناً عبر الهجاء الرمزي الذي ينقص من قيمة الخصوم ويعزز المكانة الرمزية للقبيلة. وليس الفخر مجرد مدح أو اعتزاز لفظي، بل كان أداة لتشكيل القيم والمعايير التي تحكم العلاقات داخل القبيلة وخارجها. فقد جعل الشجاعة والكرم والوفاء والحمية عناصر مركزية في تصورات المجتمع عن النفس والآخر، وأصبحت هذه القيم جزءًا لا يتجزأ من الهوية القبلية. وعبر تكرارها في الشعر ونقلها شفهياً بين الأجيال، صار الفخر حافظًا للذاكرة الجماعية، وموثقاً لتاريخ القبيلة، ومؤسِّس لشعور الانتماء والفخر المشترك ، يتحول خطاب الفخر في الشعر الجاهلي إلى حامل للهوية ومُكرّس لها، حيث يجمع بين الجانب الجمالي والفني من جهة،

DOI:

والجانب الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى. وفي كل بيت شعري، نجد انعكاس للذاكرة، والقيم، والمكانة الرمزية للقبيلة، مما يجعل الشعر وسيلة لا غنى عنها لفهم كيف نشأت الهوية القبلية وتطورت في إطار المجتمع الجاهلي.

المطلب الأول: السمات الأسلوبية والدلالية للفخر

الفخر في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد تعبير عن مشاعر فردية، بل كان أداة أساسية لترسيخ الهوية القبلية، وتحقيق التفوق الرمزي على القبائل الأخرى. وكان لهذا الفخر سمات أسلوبية ودلالية مميزة تؤثر في كيفية تلقيه وفهمه من قبل المستمعين. سنستعرض في هذا المطلب السمات الأسلوبية والفنية للفخر في الشعر الجاهلي، ونبين كيفية تفاعل هذه السمات مع المحتوى الدلالي الذي يعكس قيم المجتمع الجاهلي ومعتقداته.

وتتمثل السمات الأسلوبية للفخر في الشعر الجاهلي : (عبد الحق، ٢٠١٤، الصفحات ٣-٤)

١- **البناء الشعري المعقد:** اعتمد شعر الفخر الجاهلي على بنية شعرية تتسم بالتكثيف اللغوي، والتنقل بين الصور البيانية. كان الفخر يعبر عن السمو الأخلاقي والمكاني للقبيلة من خلال التراكيب اللغوية التي توظف الأوصاف البطولية والتاريخية. فالشعراء استخدموا الطباق والجناس لخلق تأثيرات صوتية ولغوية تضفي قوة على المعاني، حيث يتم تكرار الكلمات أو الجمل لتأكيد الفكرة وتعزيزها.

مثال على ذلك في ديوان الحماسة لأبي تمام، الذي وظف الأسلوب البلاغي لتكثيف المعنى في قصيدته:

" فأزرى الفخرُ بالماضيين حتى كأنّهمُ لكلّ فخارٍ عارُ .." (أبو تمام، ١٩٩٤، صفحة ٧٤/١)

هذا التكرار والتكثيف يدعو إلى الاعتزاز بالعظمة القبلية ويعزز من صورة المجد الذي يسعى إليه الشاعر.

٢- **الاستعارة والمجاز:** استعمل شعراء الفخر الجاهلي الاستعارة بشكل واسع لتعزيز المعاني التي تدور حول المجد والعلو. كان الشاعر يتخيل صوراً طبيعية، كالأسود، والجبال، والعواصف، لتمثل قدرة القبيلة وشجاعتها، وهي استعارات ذات دلالات سيميائية قوية. استخدم الشاعر في خطاب الفخر استعارات تجمع بين الطبيعة والحرب لتصوير مشهد عظمة القبيلة وجيشها في معركة.

السمات الدلالية للفخر في الشعر الجاهلي

١- **الدلالة على الشرف والكرامة :** كانت الدلالات التي يحملها خطاب الفخر ترتبط بشكل رئيسي بـ الشرف والكرامة. في المجتمع الجاهلي، كان الشرف القَبَلي هو الذي يحدد قيمة الفرد واعتباره بين أفراد قبيلته، بل وفي العلاقات القبلية الأخرى. لذا نجد أن الفخر في الشعر الجاهلي يركز على التأكيد على الكرم والشجاعة كقيمتين أساسيتين في تشكيل الهوية القبلية .وكان الشاعر يذكر بطولات قبيلته في المعارك والمواقف الصعبة، مؤكدًا على تفوقها الأخلاقي وجودتها القتالية في مواجهة الآخرين، في شعر عمرو بن كلثوم، حيث كان يعكس فخره في معركة الأعشى قائلاً (الجندي، ١٩٩١)

" **ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا** ".

٢- **دلالة التفوق على القبائل الأخرى:** التنافس بين القبائل كان سمة بارزة في المجتمع الجاهلي، لذا كانت السمات الدلالية للفخر تعكس التفوق والتمايز. كان الشاعر يتفاخر بمكانة قبيلته مقارنةً بالقبائل الأخرى، ويشدد على تفردها في المعارك، في الجود، في العادات، في النسب. وهذه الدلالة تؤدي دور اجتماعي وسياسي في بناء مكانة القبيلة وسمعتها داخل النسيج العربي (ابنيان، ٢٠٢١، صفحة ٥٠٦). على سبيل ذلك ، في قصيدة زهير بن أبي سلمى، نجد أن الفخر بالقبيلة يعبر عن تموضعها ضمن السياق الجغرافي والاجتماعي، حيث كان يتفاخر بأن قبيلته " مُدَحَّرة " في المعركة، وكل ذلك ضمن أطر دلالية صريحة، ترتبط بالقوة والسطوة. (ابن أبي سلمى، ١٩٩٥، صفحة ١٥٦/١)

٣- **دلالة استمرار المجد والأبدية:** الفخر في الشعر الجاهلي كان يمتد ليشمل استمرارية المجد والخلود، فالشعراء كانوا يربطون بين فخر القبيلة وبين استمرار العظمة. كان يُصور المجد كأنما هو شيء أبدي لا يتغير، وكان الشاعر يقترح أن القبيلة التي لا يُستطاع كسرها في المعركة، أو التي لا تُهزم، هي قبيلة خلودها مضمون في الذاكرة.

DOI:

نستنتج أن الفخر في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد كلمات تمجد القبيلة، بل كان وسيلة معقدة تعكس السمات الأسلوبية الفريدة التي تركز على اللغة البلاغية والتكثيف البياني، بالإضافة إلى الدلالات الاجتماعية والسياسية التي تساهم في ترسيخ الهوية القبلية وتعزيز مكانة القبيلة داخل النسيج الاجتماعي الجاهلي.

المطلب الثاني: قيم البطولة والأنساب والشرف كمرتكزات للهوية

في المجتمع الجاهلي، كانت القيم الاجتماعية والرمزية تشكل الركائز الأساسية للهوية القبلية. ومن بين هذه القيم، تبرز البطولة، الأنساب، والشرف كعناصر مركزية تحدد مكانة الفرد وقبيلته داخل المجتمع. هذه القيم لم تكن مجرد اعتبارات أخلاقية، بل كانت معايير لقياس القوة والمجد والمكانة الاجتماعية، وتعكس التماسك الداخلي للقبيلة وارتباطها بهويتها. (حسين، ٢٠١٦، صفحة ١٤٢)

الفخر بالقوة

يقول عنترة بن شداد: (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ٨)

أني أنا ليثُ العرين رسن له

قلبُ الجبانِ مُحَيرٌ مدهوشُ

إني لأعجبُ كيف ينظُرُ صورتي

يومَ القتالِ مبارزوٌ ، ويعيشُ

قيمة البطولة

البطولة كانت تعني الشجاعة في المعارك وحماية القبيلة، وهي السمة التي يفتخر بها كل فرد من أفراد القبيلة. الشعراء الجاهليون كرسوا مآثر البطولات في قصائدهم لتصبح رموزًا للهوية القبلية، ولتعزيز الانتماء والانتصار الرمزي على القبائل المنافسة. ومن خلال سرد قصص المعارك والبطولات، كان أفراد القبيلة يشعرون بالفخر المشترك، ويصبحون أكثر ولاءً لهويتهم. الفخر بالبطولة يعكس أيضًا تاريخ القبيلة المجيد ويخلق قاعدة مشتركة للوعي الجمعي. (عيدان، ٢٠٢٥، صفحة ٢)

قيمة الأنساب

الأنساب في العصر الجاهلي لم تكن مجرد سجل للعلاقات العائلية، بل كانت مرتكزًا أساسيًا للهوية القبلية. معرفة النسب تعني معرفة الانتماء، والشرف، والمكانة في المجتمع، كما أنها تحدد روابط الولاء والعرق والمناصب الاجتماعية، والشعراء استخدموا الأنساب لتعزيز الفخر القبلي، من خلال تسليط الضوء على أجدادهم وأبطال القبيلة السابقين. كان ذكر الأنساب طريقة لتأكيد استمرارية المجد والهيبة عبر الأجيال. (سالم، ٢٠١٣، صفحة ٥٢٩)

قيمة الشرف

الشرف كان قيمة مركزية في المجتمع الجاهلي، يقاس بالكرامة والوفاء والصدق والشجاعة. الحفاظ على الشرف كان وظيفة جماعية وفردية، وهو ما يجعل القبيلة تحرص على نقل هذه القيم عبر الشعر والفخر والهجاء. ولا يقتصر الشرف على الفرد، بل يمتد ليشمل القبيلة بأكملها، فكل تصرف شريف للفرد يعكس على مكانة القبيلة ويقوي الهوية والانتماء الجماعي (سالم، ٢٠١٣، صفحة ٥٣٠)

الافتخاربالأخذ بالثأر

يقول البحتري العباسي واصفاً حياة الجاهلية: (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ١٠)

تذمُ الفتاةُ الرودُ شيمةَ بعلها

إذ بات دونَ الثأر وهو ضجيعها

حمية شعب جاهلي وعزة

كليبة أعيا الرجالَ خضوعها

وفرسان هيجاء تجيش صدرها

DOI:

بأحقادها حتى تضيق دروعها

يتضح أن البطولة، الأنساب، والشرف ليست مجرد قيم أخلاقية، بل هي مرتكزات أساسية لتشكيل الهوية القبلية في العصر الجاهلي. من خلال الشعر والفخر والهجاء، تم ترسيخ هذه القيم في الوعي الجمعي، مما جعلها جزءً لا يتجزأ من الذاكرة الاجتماعية للقبيلة ومحددات مهمة لمكانتها في المجتمع

المطلب الثالث: وظيفة الفخر في تعزيز التضامن والولاء القبلي

في المجتمع العربي الجاهلي، لم يكن الفخر مجرد كلمات مدح أو اعتزاز، بل كان عنصر مركزي في بناء الهوية القبلية وتعزيز شعور الانتماء الجماعي. كانت القبيلة تعتمد على الشعر والفخر كوسيلة لترسيخ الروابط الداخلية بين أعضائها، فكل بيت شعري يحمل في طياته رسالة عن القيم المشتركة، والمآثر البطولية، والأنساب النبيلة التي تعزز من مكانة القبيلة في المجتمع . ففي قصائد الشعراء الجاهلية الشهيرة التي تحتوي على مواضيع الفخر تتعدد القصائد التي تبرز موضوع الفخر في الشعر الجاهلي، حيث نجد العديد من الشعراء مثل امرؤ القيس، الذي كان يفاخر بشجاعته ومآثره. كان الشعراء يتغنون ببطولات قبائلهم وينسبون إليها الصفات النبيلة، مما ساهم في تعزيز الهوية القبلية وكانت هذه القصائد تحظى بشعبية كبيرة في المجالس. تأثير الفخر على خطابات الشعراء كان الفخر من العوامل المحورية التي تؤثر على خطاب الشعراء، حيث كانوا يستخدمون الفخر كوسيلة لحشد التأييد والدعم من قبائلهم. بمساعدة الفخر، استطاعوا التعبير عن التحديات التي تواجههم ورفع معنويات أفراد القبيلة، مما جعل الفخر عنصر أساسي في الشعر الجاهلي. (محمد س.، ١٩٩٧)

كان أفراد القبيلة يجدون في الفخر حافزاً للبقاء موحدين، إذ يربطهم شعور مشترك بالانتماء لماضٍ مشرف ولأجداد بطوليين، ما يجعل الفرد يشعر بأنه جزء من كيان أكبر يمتد عبر الأجيال. وهذا الانتماء ليس شعور عاطفي فحسب، بل كان أيضاً إطار اجتماعي يفرض الالتزام بالقيم والمعايير القبلية مثل الشجاعة والكرم والوفاء، حيث أن الفرد الذي يلتزم بهذه القيم يُكسب احترام المجتمع ويعزز مكانة قبيلته بين القبائل الأخرى ، وقد كان الفخر يرسخ الولاء القبلي بطريقة سردية مؤثرة، إذ تُذكر مآثر المعارك والبطولات والكرم في المواقف الحياتية اليومية. فعندما يُنشد الشاعر قصيدة فخرية في مجلس القبيلة، يكون كل فرد من أفرادها شاهداً على تاريخ مشترك ومجد متوارث. هذا التكرار المستمر للأحداث البطولية يعزز شعور الانتماء، ويخلق وحدة ووعي جماعيين، حيث يدرك الجميع أن مصير الفرد مرتبط بمصير القبيلة، وأن السمعة والشرف ليستا شخصيتين فقط، بل امتداد للهوية الجمعية. وقد كان الفخر وسيلة للتنافس الرمزي بين القبائل، فكل قبيلة تحاول إبراز تفوقها على الأخرى في الشجاعة، أو الجود، أو التفاني في الدفاع عن قبيلتها. هذا التنافس لا يؤدي إلى الفرقة داخل القبيلة نفسها، بل على العكس، يعزز التماسك الداخلي والولاء المشترك، إذ يحتاج النجاح في مواجهة الآخرين إلى التضامن والاتحاد بين أفراد القبيلة. وبذلك يصبح الفخر أداة مزدوجة ، هو وسيلة لتأكيد الهوية الداخلية وأداة لتثبيت مكانة القبيلة اجتماعي وسياسي . (عشا، ٢٠١٠، الصفحات ١٥-٢٠)

<u>عمرو بن كلثوم يفخر بقومه:</u> (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ١١)

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا

وانظرْنا نُخبركَ اليقينا

بأنا نوردُ الرايات بيضاً

ونُصدرُهُنَ حمراً قدْ روِينا

متى ننقلْ إلى قومٍ رَحَانا

يكونوا في اللقاءِ لها طحينا

ورثنا المجدَ قدْ علمِتْ معدُ

نطاعنُ دُونهُ حتى يبينا

DOI:

من خلال هذه الوظيفة المتعددة للفخر، أصبح الشعر وسيلة لتوثيق القيم الأساسية للقبيلة والحفاظ عليها، مع تعزيز الشعور بالمسؤولية الجماعية والانتماء الدائم. فالفخر ليس مجرد اعتزاز فردي، بل نظام اجتماعي كامل يعبر عنه بلغة الشعر والفصاحة، ويترجم إلى ممارسات يومية تعكس الالتزام بالقيم المشتركة، والتضامن، والولاء، والاستمرارية عبر الزمن.

المبحث الثالث

الهجاء وصناعة الهوية المضادة

في مقابل خطاب الفخر الذي يعزز الانتماء والولاء للقبيلة، يبرز في الشعر الجاهلي الهجاء كأداة لصناعة الهوية المضادة. فالهجاء ليس مجرد تجريح لفظي أو سخرية، بل هو وسيلة اجتماعية وثقافية تستخدم لتحديد الحدود بين القبائل، وتأكيد التفوق الرمزي، وفرض الهيمنة الرمزية على الخصوم. من خلال الهجاء، يمكن للقبيلة أن تُبرز هويتها الجماعية من خلال المقابلة بالآخر، فكل هجاء يسلط الضوء على عيوب القبيلة المنافسة ويجعلها مرآة للتمييز والتفوق. الهجاء في الشعر الجاهلي يؤدي إلى تأثير مزدوج فهو أداة دفاعية تردع التحديات التي تواجه القبيلة، وأداة هجومية تُبرز التفوق الأخلاقي والاجتماعي والبطولي للقبيلة نفسها. عبر هذه الممارسة، يصبح الهجاء أكثر من مجرد كلام جارح، بل خطابًا ذا بعد رمزي يعكس القيم والمبادئ التي تحافظ على الهيبة والشرف، ويعمل على تعزيز الانتماء الداخلي من خلال الإشارة إلى التمايز مع الآخر.

المطلب الأول: الهجاء كآلية صراع ورسم الحدود الهوياتية

في المجتمع الجاهلي، لم يكن الهجاء مجرد أداة للتجريح أو السخرية الفردية، بل كان وسيلة استراتيجية لبناء الهوية الجماعية والتمييز بين القبائل. فالهجاء هو أداة دفاعية تحمي قبيلة من التشهير بها، وأداة هجومية تعزز من مكانتها مقارنة بالقبائل الأخرى. بهذا المعنى، يصبح الهجاء آلية للصراع الرمزي والاجتماعي، حيث يستخدم لتحديد الحدود الهوياتية وإبراز الفوارق بين القبائل المنافسة . ومن خلال الهجاء، كانت القبائل تحدد هويتها الجماعية من خلال ما هو مرفوض أو مهدد من الآخر. فكل هجاء يبرز عيوب القبيلة المنافسة ويقوي الفخر الذاتي للقبيلة الناقدة. وبهذه الطريقة، يعمل الهجاء ك خط فاصل رمزي يحدد نحن وهم ، ويسهم في ترسيخ شعور الانتماء الداخلي وتعزيز التماسك الاجتماعي داخل القبيلة (الخويطر، ٢٠١٠، صفحة ١٣٨)

<u>الأعشى يفتخر على جهنا:</u> (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ١٦)

لئن جدَ أسبابُ العداوة بيننا

لترحلنْ مني على ظهر شيهم

فما حسبي إن قسَتهُ بمُقَصرِ

ولا أنا إن جدَ الهجاء بمفحمِ

الهجاء كأداة صراع

الهجاء في الشعر الجاهلي كان يستعمل بشكل واضح لتقويض مكانة القبائل المنافسة، وتسليط الضوء على نقاط ضعفها، سواء كانت في الشجاعة، أو الكرم، أو النسب. ومن خلال الهجاء، يخلق الشاعر صراع رمزي يظهر القبيلة المنافسة في موقف ضعف، بينما تعزز قبيلته مكانتها وهيبتها. هذه الصراعات كانت تعرض شفهيًا في المجالس والمواضع العامة، ما يجعلها وسيلة ضغط اجتماعي وثقافي على القبائل الأخرى، الهجاء لم يكن وسيلة عابرة، بل أصبح جزءاً من الذاكرة الجماعية للقبيلة. فقد حفظ الشعراء أسماء القبائل المنافسة وعيوبها، كما خلدوا مآثرهم ومواقفهم البطولية، ما جعل كل هجاء وثيقة رمزية للتاريخ الاجتماعي والثقافي. وبذلك، يسهم الهجاء في تعزيز الهوية المضادة، ويمنح القبيلة قدرة على تأكيد تفوقها الرمزي عبر الأجيال. وأن الهجاء في الشعر الجاهلي كان أكثر من مجرد لغة هجومية؛ إنه آلية صراع اجتماعي وثقافي، ووسيلة لتحديد الحدود الهوياتية بين القبائل. من خلال الهجاء، تم تعزيز الانتماء الداخلي، ورفع مكانة القبيلة،

DOI:

وتأكيد التفوق الرمزي في مواجهة الآخرين، مما يجعل الهجاء جزء من بناء الهوية المضادة في المجتمع الجاهلي (الخويطر، ٢٠١٠، صفحة ١٤٠)

المطلب الثاني: صورة الخصم القبلي وأنماط التحقير الشعري

في الشعر الجاهلي، لم يكن الهجاء مجرد كلمات جارحة، بل كان أداة فنية متكاملة لبناء صورة الخصم القبلي، وتثبيت الانتماء الداخلي للقبيلة. كان الشعراء يستخدمون أساليب متقنة لإبراز نقاط ضعف القبائل المنافسة، سواء في الشجاعة أو الشرف أو الكرم، مما يجعل التحقير الشعري أداة لتقويض مكانة الخصم وتعزيز مكانة القبيلة في الوقت نفسه.

الأعشى يفتخر بشجاعة قبيلته فيقول: (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ١٥)

سائل بني أسد عنا فقد علموا

أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل

واسأل قشير او عبد الله كلهم

وأسأل ربيعة عنا كيف نفتعل

أنا نقاتلهم حتى نقتلهم

عند اللقاء وهم جاروا وهم جهلوا

صورة الخصم القبلي في الشعر الجاهلي

كان تصوير الخصم القبلي في الشعر الجاهلي يعتمد على تركيز الانتباه على العيوب والقصور، سواء كانت في النسب، أو الشجاعة، أو المواقف البطولية. وقد استخدم الشعراء هذا الأسلوب لتحديد الحدود الرمزية بين (نحن) و(هم) ، فكل هجاء يعزز الهوية المضادة ويؤكد على تفوق القبيلة الناقدة. والكثير من شعراء الهجاء سلطوا الضوء على الهزائم أو الفشل في المعارك، أو على الجبن والقصور الأخلاقي، ليخلقوا صورة سلبية متكاملة للقبيلة المنافسة (عشا، ٢٠١٢، صفحة ١٢٦)

أنماط التحقير الشعري: (عبيد الله، ٢٠١٥، الصفحات ٤١١-٤١٥)

١- **التحقير بالنسب والأنساب** : أحد أكثر الأنماط شيوعًا في الهجاء هو التقليل من شأن نسب القبيلة المنافسة، حيث يربط الشاعر بين نسب الخصم والعيوب، مثل الفقر أو عدم الشجاعة، لإضعاف صورته الرمزية والاجتماعية أمام القبائل الأخرى.

٢- **التحقير بالقوة والشجاعة** : غالبًا ما ركز الهجاء على نقص الشجاعة أو الهزائم العسكرية، لتقويض قدرة الخصم على منافسة القبيلة الناقدة. من خلال هذا النمط، يصبح الهجاء وسيلة لتأكيد التفوق الرمزي للقبيلة التي تمثل الفخر.

٣- **التحقير بالفضائل الأخلاقية** : كان الشعراء يستخدمون الهجاء أيضاً للإشارة إلى غياب الفضائل الأخلاقية لدى الخصم، مثل الكرم أو الوفاء، ليضعف صورتهم أمام المجتمع، ويجعل القبيلة المنافسة القدوة الأخلاقية والاجتماعية.

عروة بن الورد يفتخر بكرمه: (الخويطر، ٢٠١٠، صفحة ١٥)

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى

بجسمي مس الحق والحق جاهد

لأني إمرؤ عافى إنائي شركة

وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة

وأحسو قراح الماء والماء بارد

٤- **التحقير الساخر أو الهزلي** : في بعض الأحيان، اعتمد الهجاء على السخرية والهزل لتقليل من قيمة الخصم، ما يترك أثرًا نفسيًا على المستمعين ويزيد من التماسك الداخلي للقبيلة الناقدة. هذا النوع من الهجاء يربط بين الجانب الفني والجانب الاجتماعي في نفس الوقت،

DOI:

مما يجعله أكثر تأثير. من خلال هذه الأنماط المختلفة للهجاء، يصبح الشاعر الجاهلي قادراً على بناء هوية مضادة قوية، تعزز شعور الانتماء والولاء للقبيلة، وتضع الخصوم في موضع ضعف أمام المجتمع. الهجاء بهذا الشكل لا يقتصر على التجريح اللفظي، بل يتحول إلى أداة رمزية لتثبيت القيم الاجتماعية، والمكانة الرمزية، والهيبة القبلية عبر الزمن. بمعنى أن صورة الخصم القبلي وأنماط التحقير الشعري تشكل جزء من آليات الهجاء في الشعر الجاهلي. من خلال هذه الأنماط، يتم تعزيز الهوية المضادة، وترسيخ الانتماء الداخلي، وتأكيد التفوق الرمزي للقبيلة، مما يجعل الهجاء أداة محورية لفهم الديناميات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الجاهلي.

المطلب الثالث: الأثر الاجتماعي والسياسي للهجاء في حماية الكيان القبلي

في المجتمع الجاهلي، كان الهجاء أداة اجتماعية وسياسية ، ليس فقط لتحديد الهوية المضادة للقبائل المنافسة، بل أيضًا للحفاظ على تماسك القبيلة واستقرارها الداخلي. فالهجاء لم يقتصر على كونه لغة تجريح، بل كان وسيلة لتنظيم العلاقات بين القبائل، وصون القيم والمكانة الرمزية، وتعزيز السلطة الاجتماعية لأفراد القبيلة وقيادتها.

الأثر الاجتماعي للهجاء

الهجاء ساهم في تعزيز التضامن الداخلي للقبيلة عبر توجيه النقد والتجريح نحو الخارج. عندما ينشد الشاعر هجاءً ضد قبيلة منافسة، يشعر أفراد القبيلة الناقدة بوحدة المصير والمسؤولية المشتركة. هذا التوحيد الاجتماعي يعزز الولاء والانتماء للقبيلة، ويجعل كل فرد يدرك أن الشرف والكرامة والمجد القبلي مرتبط بمكانته ومكانة قبيلته ، كان الهجاء يعمل أيضاً ك آلية لضبط السلوك الداخلي، حيث يظهر المعيار الذي يقاس به الفخر والشرف، ويضع حدود لما يعتبر سلوك مقبول أو مرفوض داخل القبيلة، مما يحافظ على النظام الاجتماعي ويعزز القيم المشتركة. (يوسف، ٢٠١٩، صفحة ٩٥)

<u>الافتخار بحياة البداوة والتنقل بحثاً عن مواقع الغيث</u>

<u>يقول الأخنس بن شهاب التغلبي:</u> (محمد س.، ١٩٩٧، صفحة ٨)

ونحن أناس لا حجازَ بأرضنا

مع الغيثِ ما تُلفى ومنَ هو غالبُ

الأثر السياسي للهجاء

كان الهجاء أداة لفرض الهيبة والسلطة الرمزية للقبيلة على غيرها من القبائل. فقد كان الشعراء يستغلون قدراتهم البلاغية لتقويض مكانة القبائل المنافسة، وبالتالي تعزيز موقف القبيلة الناقدة في التحالفات والمعارك. من خلال الهجاء، يتم إضعاف النفوذ الاجتماعي والسياسي للخصم، بينما يبرز النفوذ الرمزي والقيادي للقبيلة نفسها، مما يجعل الهجاء أداة صراع سياسي وثقافي متوازي مع الصراع العسكري أو القبلي (يوسف، ٢٠١٩، صفحة ٩٦). وأن الهجاء لا يقتصر على التجريح، بل يصبح آلية دفاعية تحمي القبيلة من التشهير أو التقليل من مكانتها. فعندما يهاجم الخصم أو يشوه صورة القبيلة، يقوم الشعراء بالرد الهجائي، ليعيد التوازن الرمزي ويثبت مكانة القبيلة أمام المجتمع. هذا الرد الشعري يعمل على حماية الكيان الاجتماعي والسياسي للقبيلة، ويظهر قوتها وقدرتها على الدفاع عن نفسها، ليس بالسلاح فقط، بل بالخطاب والفن الشعري . ، وقد جعل الهجاء من الشعر الجاهلي أداة للتاريخ الجمعي، حيث توثق القصائد الأحداث، والمعارك، والمآثر، والهزائم، بشكل يضمن أن الهوية القبلية والقيم المرتبطة بها ستستمر عبر الأجيال. هذا يجعل الهجاء ليس مجرد لغة هجومية، بل وسيلة لحفظ الاستمرارية الثقافية والاجتماعية والسياسية للقبيلة، ويعزز مكانتها في النسيج الاجتماعي العربي القديم (الأسد، ١٩٨٨، صفحة ١٣٣). يمكننا القول إن الهجاء في الشعر الجاهلي ليس مجرد سخرية أو تجريح لفظي، بل هو أداة محورية في صناعة الهوية المضادة، حيث يعمل بالتوازي مع الفخر لتعزيز التماسك الداخلي للقبيلة، وتثبيت القيم الاجتماعية، وفرض الهيبة على القبائل الأخرى، بما يجعله عنصر أساسي في فهم دور الشعر في تشكيل الوعي الجمعي والهوية القبلية ، كما أن الهجاء في الشعر الجاهلي لم يكن مجرد أداة تجريح،

DOI:

بل كان آلية اجتماعية وسياسية متكاملة لحماية الكيان القبلي. من خلاله، يتم تعزيز الانتماء والتضامن الداخلي، وفرض الهيبة الرمزية للقبيلة، وصون القيم الاجتماعية والسياسية، مما يجعله جزءًا أساسيًا من بناء الهوية المضادة وحماية المجد القَبَلي في المجتمع الجاهلي.

الخاتمة

لقد أظهر البحث أن الفخر والهجاء في العصر الجاهلي لم يكونا مجرد أغراض شعرية بل كان لهما أبعاد اجتماعية وثقافية وسياسية. فالفخر عمل على تعزيز الهوية القبلية وترسيخ الانتماء الجماعي، من خلال التأكيد على الشجاعة والكرم والأنساب والمآثر البطولية، بينما الهجاء عمل على بناء هوية مضادة، وتحديد حدود الخصم القبلي، والحفاظ على الهيبة والمكانة الرمزية للقبيلة. لقد تجلى الدور المحوري للشعر الجاهلي في حفظ القيم، وتعزيز التضامن، وصون الكيان القبلي، مما يعكس قدرة الأدب على أن يكون مرآة للهوية والوعي الاجتماعي، وليس مجرد وسيلة للتسلية أو التعبير الفردي.

الاستنتاجات

١- الفخر يعزز الانتماء والولاء للقبيلة، بينما الهجاء يرسم الحدود مع القبائل المنافسة ويخلق الهوية المضادة.

٢- الفخر يتميز بالجزالة والرصانة والاعتزاز بالأنساب والشجاعة، بينما الهجاء يعتمد على التجريح، السخرية، والانتقاد الرمزي للخصم.

٣- البطولة، الأنساب، والشرف شكلت مرتكزات رئيسية لهوية القبيلة، وعبر الفخر والهجاء تم ترسيخها في الوعي الجمعي.

٤- الهجاء ساعد في حماية الكيان القبلي، وتعزيز التماسك الداخلي، وصون الهيبة الرمزية، مما جعله أداة فاعلة في الصراع الاجتماعي والسياسي.

٥- الفخر والهجاء حافظا على التراث القبلي والمآثر البطولية، وخلدا التاريخ الاجتماعي والثقافي للقبائل.

المقترحات

١- تشجيع الدراسات المقارنة بين شعر الجاهلية وأنماط الهوية في الأدب العربي اللاحق لفهم تطور الفخر والهجاء عبر الزمن.

٢- تحليل النصوص الشعرية بطرق متعددة (لسانية، اجتماعية، سياسية) لتسليط الضوء على دورها في بناء الهوية القبلية والمجتمعية.

٣- دمج الدراسات الأدبية بالتاريخ الاجتماعي لتوضيح تأثير الفخر والهجاء على العلاقات بين القبائل والنسيج الاجتماعي.

٤- توسيع البحث ليشمل تأثير الفخر والهجاء على الأدب الشعبي اللاحق والهوية الثقافية العربية بشكل عام.

٥- إدراج استخدام الهجاء والفخر في السياقات الحديثة كجزء من دراسة تطور الخطاب الثقافي والهوية الجماعية.

DOI:

المصادر

ابن أبي سلمى،زهير. (١٩٩٥). *ديوان زهير بن أبي سلمى.* (طه حسين، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن جعفر، قدامة. (١٩٨٥). *نقد الشعر.* (كراتشكوفسكي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابنيان، محمد علي. (٢٠٢١). دبلوماسية اللغة الشعرية : قراءة في معلقة زهير بن ابي سلمى . *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*، ١٨ (العدد ٢).

أبو تمام، محمد. (١٩٩٤). *ديوان الحماسة.* (محمد حسن آل ياسين، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

الأسد، ناصر الدين. (١٩٨٨). *مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية.* بيروت: دار الجيل.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٩٩٨). *البيان والتبيين.* (عبد السلام هارون، المحرر) بيروت: دار الجيل.

الجندي، علي. (١٩٩١). *كتاب في تاريخ الادب الجاهلي.* مكتبة دار التراث. doi:https://shamela.ws/page/contribute

حسين، أحمد. (٢٠١٦). الهوية العربية : مقوماتها ومحددات تعريفها : إطار نظري ومقاربة تحليلية . *المجلة الاجتماعية القومي*، ٥٣ (العدد ٢).

الخويطر، عبد العزيز بن محمد. (٢٠١٠). *الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الاموي نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والاسلام والسياسة* . كلية اللغة العربية – قسم الآداب .

سالم، هبة طارق. (٢٠١٣). استلاب الهوية لدى شعراء الجاهلية . *مجلة العلوم الاسلامية ، مجلة علمية فصلية محكمة* (العدد ٣٨).

ضيف، شوقي. (١٩٩٥). *العصر الجاهلي* (المجلد ١). القاهرة: دار المعارف.

عباس، إحسان. (١٩٨٧). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب.* بيروت: دار العلم للملايين.

عبد الحق، سليمان علي محمد. (٢٠١٤). *توظيف الصورة البيانية في ترسيخ المنفعة والقيمة في الشعر الجاهلي : دراسة بلاغية اسلوبية .* المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية ، المجلس الدولي للغة العربية بالتعاون مع منظمة اليونسكو واتحاد الجامعات العربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج.

عبد العاطي، تغريد حسن احمد. (٢٠١٥). أثر شعر عمرو بن كلثوم في قصيدة الفخر في الشعر العربي القديم . *مجلة كلية الآداب* (العدد ٤٠).

عبيد الله، محمود حسين. (٢٠١٥). من صور الهجاء الشخصي في الشعر الجاهلي . *مجلة جامعة حضرموت للعلوم الانسانية*، ١٢ (العدد ٢).

عشا، علي مصطفى. (٢٠١٠). الأكاديمية العربية السورية، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي. *مجلة مجمع اللغة العربية.*

عشا، علي مصطفى. (٢٠١٢). الانتماء القبلي في نماذج من الشعر الجاهلي (بين العصبية والوعي العصبي). *المجلة العربية للآداب*، ٢ (العدد ١).

عيدان، اخلاص محمد. (٢٠٢٥). *الشاعر الجاهلي بين البحث عن الهوية والهوية البديلة.* جامعة بغداد/ كلية الآداب – قسم اللغة العربية.

غافل، كفى محسن ، و حسين عبد حسين. (٢٠٢٤). الفخر في قصائد جاهلية نادرة . *مجلة الكوفة للآداب* (العدد ٦٢)، كلية الآداب / جامعة الكوفة.

المجيلي، عبد علي عبيد ، و مشتاق طالب منعم الشمري. (٢٠٢٣). الصراع الاجتماعي وأثره في ثبات الهوية وتحولها عند شعراء بكر في الجاهلية : دراسة في ضوء النقد الثقافي. *مجلة آداب المستنصرية* (العدد ١٠٢).

محجوب، سعاد سيد. (٢٠٢٢). من القيم الاخلاقية في الشعر الجاهلي : دراسة موضوعية . *مجلة اللغة العربية العربية وآدابها*، ١ (العدد ٥).

DOI:

محمد، سراج الدين. (١٩٩٧). *الفخر في الشعر العربي* . بيروت: دار اراتب الجامعية.

محمد، فتحي ابراهيم. (٢٠٢٤). نظام الحكم القبلي لدى العرب قبل الاسلام. *مجلة العلوم القانونية والاقتصادية*(العدد ١).

يوسف، ميمون. (٢٠١٩). *العصبية القبلية في الشعر العربي القديم تجلياتها في العصر الاموي ، اطروحة دكتوراه.* جامعة أحمد بن يحي الونشريسي – تيسمسيلت – معهد الآداب واللغات / قسم اللغة والادب العربي.

Abbas, Ihsan. (1987). Literary Critical History among the Arabs. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayeen.

Abd al-Ati, Taghreed Hassan Ahmed. (2015). The Poetry of Amr ibn Kulthum Contributed to the Poem of Pride in Ancient Arabic Poetry. Journal of the Faculty of Arts (Issue 40).

Abdul Haq, Suleiman Ali Muhammad. (2014). The Use of Imagery in Establishing Utility and Value in Pre-Islamic Poetry: A Rhetorical and Stylistic Study. The Third International Conference on the Arabic Language, organized by the International Council for the Arabic Language in conjunction with the Conference Organization, the Association of Arab Universities, and the Arab Organization for Education, Training, and Scientific Research (AOEFR).

Abu Tammam, Muhammad. (1994). Diwan al-Hamasa. (Muhammad Hassan Al Yasin, Arab ed.) Beirut: Dar al-Kitab.

Aidan, Ikhlas Muhammad. (2025). The Pre-Islamic Poet Between the Search for Identity and Alternative Identity. University of Baghdad/College of Arts - Department of Arabic Language.

Al-Asad, Nasir al-Din. (1988). Sources of Pre-Islamic Poetry and Their Historical Values. Beirut: Dar al-Jeel.

Al-Jahiz, Amr ibn Bahr. (1998). Al-Bayan wa al-Tabyeen. (Abd al-Salam Haroun, ed.) Beirut: Dar al-Jeel.

Al-Jundi, Ali. (1991). A Book on the History of Pre-Islamic Literature. Dar al-Turath Library. Duwa: https://shamela.ws/page/contribute

Al-Khuwaiter, Abdul Aziz bin Muhammad. (2010). Satire from the Pre-Islamic Era to the End of the Umayyad Era: A Look at the Nature of the Art and its Connection to Tribalism, Islam, and Politics. College of Arabic Language – Department of Literature.

Al-Majili, Abdul Ali Ubaid, and Mushtaq Talib Munim Al-Shammari. (2023). Social Conflict and Its Impact on Establishing and Transforming Identity Among the Bakr Poets of the Pre-Islamic Era: A Study in Light of Cultural Criticism. Al-Mustansiriya Journal of Arts (Issue 102).

Asha, Ali Mustafa. (2010). The Syrian Arab Academy: The Debate on Tribalism and Values in Selected Pre-Islamic Poetry. Journal of the Arabic Language Academy.

Asha, Ali Mustafa. (2012). Tribal Affiliation in Pre-Islamic Poetry (Between Tribalism and Tribal Awareness). Arab Journal of Arts, 2 (Issue 1).

Daif, Shawqi. (1995). The Pre-Islamic Era (Volume 1). Cairo: Dar Al-Maaref.

Ghafil, Kafa Muhsin, and Hussein Abdul Hussein. (2024). Pride in Rare Pre-Islamic Poems. Al-Kufa Journal of Arts (Issue 62), College of Arts/University of Kufa.

Hussein, Ahmed. (2016). Arab Identity: Its Components and Determinants: A Theoretical Framework and Analytical Approach. The National Social Journal, 53 (Issue 2).

Ibn Ja`far, Qudama. (1985). Critical Poetry. (Krachzovsky, ed.) Beirut: Dar al-Kutub al-`Ilmiyya.

Ibn Abi Sulma, Zuhair. (1995). Diwan of Zuhair ibn Abi Sulma. (Taha Hussein, ed.) Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn ian, Muhammad Ali. (2021). The Diplomacy of Poetic Language: A Reading of Zuhair ibn Abi Sulma's Mu`allaqa. Journal of the University of Sciences for Arts, 18 (Issue 2).

Mahjoub, Suad Sayed. (2022). Moral Values in Pre-Islamic Poetry: An Objective Study. Journal of Arabic Language and Literature, 1 (Issue 5).

Muhammad, Fathi Ibrahim. (2024). The Tribal System of Governance Among the Arabs Before Islam. Journal of Science Clarification (Issue 1).

Muhammad, Siraj Al-Din. (1997). Pride in Arabic Poetry. Beirut: Dar Al-Arab University.

DOI:

Salem, Heba Tariq. (2013). Alienation of Identity among Pre-Islamic Poets. Journal of Islamic Sciences, a peer-reviewed quarterly scientific journal (Issue 38).

Ubaidullah, Mahmoud Hussein. (2015). Some Images of Personal Satire in Pre-Islamic Poetry. Hadhramaut University Journal of Humanities, 12 (Issue 2).

Youssef, Maimoun. (2019). The Pinnacle of Tribalism in Ancient Arabic Poetry: Its Manifestations in the Umayyad Era. Doctoral Dissertation. University of Ahmed Ben Yahia El Wancharissi – Tissemsilt – Institute of Arts and Languages / Department of Arabic Language and Literature.

DOI: